إن اعادة ترتيب العلاقة بين الايديولوجيا التي ترفعها الحركة السلفية وبين الاهداف القومية والوطنية التي تطرحها سوف يفرض عليها نوعاً من التأويل الديني، يفتح الباب امام شكل مغاير من الاجتهاد الاسلامي السابق، ويتناسب مع الاهداف الجديدة التي تطرحها، اي اذا كانت القيم الأخرى هي التي يعاد تأويلها ضمن منظور الاسلام في الماضي، فان ما تم بعد ذلك هو على العكس تماماً. لقد تم التأويل تبعاً لقيم ايديولوجيات اخرى كالقومية العربية، وحتى الشيوعية[٢٨]. «هل أنتم مؤمنون؟» وأجاب: لا اعتقد، لأنه لو كنتم مؤمنين لكانت عندكم عزة المؤمن. فاذا خرجتم من هذا المسجد، وناداكم جندي بريطاني فستهرولون نحوه»[٢٩].

على هذا النحو تحدد طابع الايمان نفسه، في التأويل الجديد. لم تعد شروط الايمان تتحدد بمستوى العلاقة القائمة بين المؤمن وربه فحسب، وانما بعلاقة أخرى، وبمستوى مغاير هو السلوك الذي يتبعه المسلم تجاه السلطة الحاكمة، والذي عبره تتحدد مصداقية الايمان. ان الدلالة التي يطرحها التأويل الجديد، هي في طريقة طرح الاشكالية التي يجابهها السلفي الجديد، ونوع التساؤلات التي يطرحها. فهو لم يعد يهتم بالبحث، فيما اذا كانت السلطة القائمة تراعي حماية الاماكن المقدسة وتكفل حرية العبادات، أو اذا كان نظام العدالة الذي تقيمه يتوافق والتشريع الاسلامي او حتى شكل المقاومة التي يجب اتباعها في مواجهتها[٣٠]. ان مستوى طرح التساؤلات انتقل الى مجال آخر تماماً، مبني على موقف قاطع في رفض هذه السلطة، وعلى مشروع يؤسس لاطاحتها. وهذا يتجلى في الطريقة التي تطرح بها القضية؛ فالايمان يتحدد بالعزة وهو تجسيد لسلوك اخلاقي واجتماعي، يتناقض، بصورة جذرية، ووجود سلطة احتلال اجنبية تحول دون ممارسة هذا الشعور.

هذا هو نوع التأويل الذي تطرحه الحركة السلفية وهي تستعد لطرح مشروعها. ولكنها، وهي تمارس ذلك، لا تسعى من ورائه إلى تحقيق المشروعية لدعوتها السياسية، وانما، أولاً، لبلورة ايديولوجيتها الخاصة، التي تمكنها من الاضطلاع بمسؤولياتها، والقيام بدورها؛ وهذا هو المغزى الرئيس لذلك التشابه الذي يمكن رؤيته في طريقة عمل كل من الحركة السلفية والحركات الايديولوجية الثورية الأخرى، حيث يحتل النضال الايديولوجي موقع الصدارة في سلم الاهتمامات التي توليها هذه الحركات الجانب الاعظم من نشاطها.

إن أي محاولة للاقتراب من فهم الدور الذي حاولت ان تقوم به الحركة القسّامية، سوف تبقى محاولة قاصرة طالما اغفلت هذا الجانب الرئيس من نشاطها، أي النضال الايديولوجي، أو «الدعوة»، كما يسميها القسّام. فمنذ البداية، يمكن ملاحظة ان الجزء الأهم من نشاط القسّام وجماعته، كان يتمحور حول النضال الدعاوي. وهو ما لم يدرك معظم المؤرخين أبعاده، وأدى ذلك الى قدر كبير من الاختلاط في النظرة الى التجربة القسّامية؛ حيث اعتبر بعض المؤرخين ان الحركة القسّامية حركة دينية، بل وذهب البعض الى ان الدوافع التي حركتها كانت دوافع دينية محضة، وغير وطنية[٣١]؛ كما ذهب البعض الآخر إلى اعتبارها حركة دينية ثورية في مواجهة «دين» رجعي[٣٢]. أما التبسيط الاكثر ضرراً، فهو تلخيصها على أساس انها رد فعل آني على سياسة معينة انتهجتها قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

ان هذا التبسيط السطحي لا يجرد الحركة القسّامية من دلالتها التاريخية والايديولوجية وبشوهها فحسب، وانما يجعل من غير الممكن تقديم تفسير معقول لذلك الدور